الهاتف رقم (1)

نظرة واحدة منها أعادت له ذكريات الماضي وجعلت قلبه يخفق حنيناً.
ابتسم لها ابتسامة موجعة أعادت لها ذلك الشوق الذي يحجبه الكبرياء.

لم يكـن لقاؤهمـا صدفة؛ فقد جاءت وهي تعلم جيـداً أنه لم يبرح هذا المكان منذ فراقهمـا.

كانـت متأكدة أنه سـيعود إليها ولن يقوى عـلى فراقها. هكذا عهدته دائماً، ذليلاً في حبه لها.

لكنه لم يعد، وطالت مدة الفراق الذي لم يرهقها كثيراً.

وعندمـا أتـت ولم تجده في آخـر موعد لهما، اسـتاءت كثـيراً؛ ولكنها

لم تحـاول أن تتصل بـه أو تعاتبه أو تعرف السـبب، بـل زادت في تجاهله واحتقاره، ظانة أنه سـيعود إليها، وحينها لن تقبل اعتذاره، ولن تسـمح له إطلاقا أن يعود إليها، ولن تضيف اسـمه إلى قائمة الأسـماء في الهاتف رقم (1).

في الفـترة الأخيرة، أهملته تماماً. لم تكن تعـيره اهتماماً. كانت تتحجج بدراسـتها الجامعية وصعوبة المنهج. لم تعد تراسـله أو ترد على مكالماته. وعندما تلتقي به كانت تهديه ابتسـامة صفراء، خالية من المشاعر، ونظرة باهتـة من عينـين شـاحبتين، وبثياب غير أنيقة، وشـعر غـير مصفوف، وبمظهر يوحي بما هي فيه من الأرق والتعب. يرقُّ لحالها، ويزيد إشـفاقاً عليها.

صدفة، رآها في أحد الشـوارع. كانـت في أوج أناقتها وجمالها. اتصل بها. نظـرت إلى الهاتف، ثم واصلـت طريقها، دون أن ترُد. وفي المسـاء، أرسلت إليه رسالة تعتذر منه، إنها تعاني من وعكة صحية.

أسرَّها في نفسـه ولم يكاشـفها بأكاذيبها المتكررة، بـل اختلق لها ألف عذر وعذر.

وذات مسـاء، تواعـدا أن يخرجـا معاً. ارتـدى قميصاً أنيقـاً، ولبس سـاعته التي أهدته إياها، وزين شاربه ولحيته بالطريقة التي تحبها. كانت

الابتسامة لا تفارق شفتيها. وكان يشعر برقص دقات قلبها الطفولي. وعند جلوسهما في المقهى على البحر، وضعت -بكل ثقة- هاتفها الخلوي، الذي لا يحمل كلمة سر أو بصمة، بالقرب منه، وتركت حقيبتها على الطاولة. وعند ذهابها إلى الحمام، سرت إلى قلبه ذبذبات اهتزازية من حقيبتها. تجرأ وفتح الحقيبة، فوجد هاتفاً آخر يرن؛ لكنه لم يرد. فتح الهاتف فوجد رسائل غرامية من أكثر من رقم، وحسابات أخرى على وسائل التواصل الاجتماعي غير الحسابات التي يعرفها، وعالماً آخر غير العالم الذي كان فيه. أعاد الهاتف إلى مكانه.

عادت؛ ولكنها لم تجده.

وها هي اليوم تدنو منه بخطوات ثابتة، ورائحة عطر غير مألوفة لديه.

ظلت واقفة، وقالت بصوت غير معهود:

- لم أكن أتوقع أن أراك هنا! ولكنها فرصة كبيرة لأخبرك بأنك تغيرت كثيراً.

وأشاحت بوجهها عنه، وسارت بخطوات بطيئة تترقب أن يتبعها أو يناديها. حين بلغت نهاية الرواق، التفتت لتجد كرسيه خالياً.

ظل يمشي على قدميه متجاوزاً سيارته والمنطقة برمتها، يتذكر صورتها القديمة وشعرها الحريري ينساب على وجهه وهي تهمس في أذنيه: "عندما تضيق بي الدنيا لا ملجأ لي سواك".

ظل يجر ذكرياتها معه منذ أن كانت عصفورة رقيقة بلا أجنحة إلى أن تعلمت الطيران بين ضلعيه، حتى أصبحت نسراً كاسراً حملت قلبه إلى مكان شاهق ورمته.

استقل سيارة أجرة، وسأل السائق:

- إلى أين أنت ذاهب؟

نظر إليه السائق وأجاب متعجباً:

- أنا هنا لأنقلك إلى حيثما تريد سيدي!

- هل بالإمكان أن تأخذني إلى الجحيم؟!

نظر إليه السائق بابتسامة عريضة وانطلق بالسيارة قائلاً:

- أفضل من ينقلك إليه هن النساء.

2016 /8 /4